العلاقات الخارجية للممالك الاسلامية في السودان الفونج - الفور أنموذجاً

د. سلوى التجاني فضل
أستاذ التاريخ المساعد – قسم التاريخ - جامعة الملك خالد وجامعة الأزهري
Email : Salwa.alfadol@gmail.com

الملخص

4

تعتبر فترة الممالك الإسلامية في السودان أهم فترات الحكم في السودان وبالرغم من قسوة الظروف السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، إلا أن سلطنة سنار الإسلامية إستطاعت أن تكون قوة سياسية كبرى ، وكذلك مملكة الفور أشهر السلطنات الإسلامية التي نشأت في القرن السابع عشر في أواسط بلاد السودان، تاتي أهمية هذه الدراسة في إبراز دور الطرق والقوافل التجارية في تفعيل وتسهيل الإتصال والحراك بين الدول المختلفة ، وتوضيح دورالعلاقات الخارجية للممالك الإسلامية ودورها في البناء إقتصادياً وإجتماعياً ، بيان دور العلاقات الخارجية في إثراء الحركة الثقافية والدينية والفكرية وذلك عن طريق العلماء ورجال الدين ، وتهدف الدراسة إلى التعرف على البعد التاريخي لعلاقات الفونج،والفور الخارجية ، والكشف عن أهمية النواحي السياسية والإقتصادية والدينية في تطور العلاقات بين الممالك الإسلامية والدول الخارجية، وذلك باستخدام المنهج التاريخي التحليلي الوصفي عبر مجموعة من المصادر الأساسية من مخطوطات وكتب مصدرية ومراجع ، للوصول إلى مجموعة نتائج تؤكد دور العلاقات الخارجية في التطور الثقافي والحضاري والاقتصادي للمالك الاسلامية ، كذلك أثر العلاقات الخارجية في الاستقرار الثقافي والديني والازدهار الاقتصادي ، وتتمثل أهم التوصيات في ضرورة الاهتمام بالدراسة الدقيقة لتاريخ السلطنات والممالك الاسلامية في السودان ودورها في إثراء الحركة الثقافية والفكرية والدينية في السودان .

الكلمات المفتاحية :_ الممالك ،العلاقات، رجال الدين ، التجارة ، العلماء

External Relationships of Sudan's Islamic Kingdoms: Funj-Fur as a Model

Dr. Salwa Ettajani Fadhl
Assistant Professor of History, Department

Abstract:

The period of the Islamic kingdoms in Sudan is considered the most important period of rule in Sudan. Despite the harsh political, economic and social conditions, the Islamic Sultanate of Sennar was able to be a major political power, as well as the Fur Kingdom, the most famous Islamic sultanate that arose in the seventeenth century in the middle of Sudan. This study highlights the role of trade routes and convoys in activating and facilitating communication and movement between different countries, and clarifying the role of the external relations of the Islamic kingdoms and their role in building economically and socially. A statement of the role of foreign relations in enriching the cultural, religious and intellectual movement through scholars and clerics. The study aims to identify the historical dimension of the external relations of the Fung and the Fur, And the disclosure of the importance of the political, economic and religious aspects in the development of relations between Islamic kingdoms and foreign countries, using the historical, analytical, descriptive method through a group of basic sources from manuscripts, source books and references, to reach a set of results confirming the role of foreign relations in the cultural, civilization and economic development of the Islamic owner, as well as The impact of foreign relations on cultural and religious stability and economic prosperity, and the most important recommendations are the need to pay attention to a careful study of the history of the Islamic sultans and kingdoms in Sudan and its role in enriching the cultural, intellectual and religious movement in Sudan.

Keywords: _ kingdoms, relations, clerics, trade, scholars.

المقدمة :

مملكة الفونج هي أول دولة عربية إسلامية قامت في السودان عام 1504م بعد دخول وانتشار الإسلام في ربوعه، ولم تكن سنار حاضرة أول سلطنة إسلامية في السودان فقط، بل أصبحت عنوانا للبلاد ومركزا مهما للإشعاع الثقافي والإسلامي في أفريقيا ، وربما وصفوا بالسنانير ، وقامت تلك المملكة نتيجة تحالف بين الفونج والعبدلاب، حيث أثمر ذلك التحالف انتصارا على مملكة "علوة"؛ المملكة النوبية الثانية القوية في العصر الوسيط في السودان ، عرفت تلك المملكة التي ازدهرت وذاع صيتها وقوي مركزها لقرون من الزمن بأسماء متعددة، فتارة يطلق عليها السلطنة الزرقاء ، واحيانا الدولة السنارية ، ولقد استمرت زهاء 360 عاماً .

بدأ تاريخ دارفور المدون في القرن الرابع عشر الميلادي ، عند بداية انتقال السلطة من سلالة (الداجو) إلى سلالة (التنجر) التي عاصرت دخول الاسلام في منطقة غرب السودان (دارفور).

أسَّس السلطان «سليمان سلونق» «سلطنة الفور الإسلامية» عام (848هـ=1445م)، اهتمَّ ببناء المساجد وفتح المدارس وتعمير الخلاوى بالمدن والقرى، كما واصل حفيده السلطان «أحمد بكر» (1726–1746م) نهج أسلافه في هذا المضمار؛ فقد شجَّع هجرة العلماء للعمل بدارفور لنشر دين الإسلام بطريقةٍ علميَّةٍ مؤسَّسة، فأرسل رسله للدول المجاورة، فوفد نفرٌ كريمٌ من العلماء الأجلَّاء من تمبكتو غرب إفريقيا، ومن دار شنقيط، ومن سلطنة البرنو، وسلطنة باقرمي والمغرب العربي، مصر ،تونس ،فزَّان ،الحجاز وسودان وادي النيل بناءً على دعوته .

قسمت الدراسة إلى عدة محاور تشمل الآتي:

1. علاقات مملكة الفونج الإسلامية الخارجية .
2. علاقات مملكة الفور الإسلامية الخارجية .

علاقات الفونج الخارجية :-

كان هنالك إتصال مستمر بين دولة الفونج والبلاد العربية والإسلامية وهذا يعتبر تحولاً حضارياً هاماً ظهرت أثاره من خلال الحركة الفكرية والإقتصادية والثقافية والتوجه الإسلامي لتلك العلاقات وسوف

نستعرض هذا الإتصال بين الفونج ، مصر، الدولة العثمانية ، اليمن ، الحجاز، الحبشة ، المغرب والعراق .

أولاً : علاقة الفونج مع مصر :-

تعتبر مصر إحدى الدول العربية الإسلامية التي اتصل الفونج بها وكما هو معلوم تاريخياً فإن علاقة السودان مع مصر هي قديمة وبدأت منذ الفترات التاريخية القديمة وبالتاي فهي تعتبر إحدى بوابات الأثر العرقي والفكري والثقافي والعربي والإسلامي في السودان ، ولقد شجع قرب مصر وسهولة الوصول إليها عبر الطرق البرية والنهرية في إتصال مملكة الفونج الإسلامية بها .

من الناحية السياسية :-

إتسمت العلاقة مع المماليك بالطبيعية والعادية خاصة وأن المماليك كانوا يمثلون الحامي لأرض الحجاز والحرمين الشريفين[1] يضاف إلى ذلك أن قيام السلطنة جاء متزامناً مع تدهور الأوضاع بين المماليك أنفسهم وإنقسامهم إلى مجموعات متحاربة ومتصارعة [2] ونتيجة لهذا الصراع هاجرت العديد من القبائل بعائلاتهم وأستقروا في المناطق الشمالية من السلطنة [3] .

إرتبطت السلطنة بعلاقات تجارية موروثة مع مصر حيث كانت القوافل تسير بين البلدين حاملة شتى أنواع البضائع مع سلطنة سنار إلى مصر مثل سن الفيل والعبيد والتمرهندي والصمغ العربي والسمسم وريش النعام وغيرها ، وكانت تأخذ من الأسواق المصرية منسوجات حريرية وقطنية وأقمشة الكتان صنع في الدلتا وأسيوط وغيرها ، فقد كانت للبضائع السنارية أسواق رائجة في القاهرة [4] ، إذا كانت قافلة سنار هي الثانية من حيث الأهمية بعد قافلة دارفور وكانت تتكون من مجموعة من القوافل الصغيرة التي تأتي من مراكز تجارية مختلفة وتبدأ مسيرتها من سنار [5] .

وقد ألقى ذلك على البلدين مسئولية تأمين طرق التجارة من اللصوص وقطاع الطرق بصورة رسمية للمحافظة على سلامة القوافل التي تمر عبر أراضيها فكانت التجارة سبباً في توطيد العلاقات الإجتماعية بين القبائل المتواجدة في المنطقة .

من الناحية الثقافية :-

تعتبر مصر مركز للمعرفة والثقافة والذي يتميز بالطابع العلمي فقد كانت الكتب ترد من مصر إلى سلطنة سنار بحيث إمتلأت مكتبات العلماء والفقهاء بذخائر الكتب الفقهية الإسلامية [7] ، كما أمدت البلاد برجال الطرق الصوفية وعلماء الدين حيث وجدو فيما قدمه السلاطين من تقدير لرجال العلم عاملاً مشجعاً فضلاً عن تقدير الأهالي لهم وقد أستقر الكثيرين منهم في السلطنة [8].

وتبلورت هذه العلاقات الثقافية بالقدر الكبير الذي أهتم فيه ملوك الفونج بهجرة الطلاب الوافدين من السلطنة إلى مصر وإنشاء رواق لطلاب العلم من أبنائهم بمصر وهو ما عرف برواق السنارية في الأزهر الشريف [9] .

وأرتبط مشائخ الأزهر الشريف بسلاطين الفونج حتى بلغت درجة تبادل الهدايا بين السلاطين والعلماء وجاء أن السلطان بادي كان على صلة بعلماء مصر ويرسل لهم الهدايا مع مندوبه أحمد علوان حتى أنهم مدحوه بقصيدة أوردها كاتب الشونة معدداً فيها أمجاد سلطان سنار ومادحاً كرم السلطان وأفضاله [10] .

وأيضاً كانت تطلب منهم السلطنة النظر في الفتاوي التي يصدرها علماء ومشائخ سنار ، إضافة إلى أن عيزاب وسواكن كانتا تشكلا طريقاً بديلاً وآمناً أيام الإضرابات التي كانت تحدث في مصر للقوافل التي تذهب إلى الحجاز من الحجاج المصريين وغيرهم [11] .

علاقات الفونج مع الدولة العثمانية :-

تولت الدولة العثمانية مسئولية الدفاع عن الأراضي المقدسة وعن الإسلام والمسلمين في الحجاز ضد التوغل البرتقالي ومحاولة إحتلال مداخل البحار ومساندة المسلمين في الحبشة ضد المسيحين الذين استعانوا بالبرتغال [12] .

وبلغ عمارة دنقس أن السلطان سليم قدم إلى سواكن ومصوع فأمتلكها بقصد الزحف نحو سنار (30) فكاتبه وأرسل مع الكتاب كتاب أنساب لكامل العرب الذين في مملكته ، فعدل السلطان سليم عن حرب سنار (31) وكان العامل الديني مصدر وسبب حماية لسلطنة الفونج التي كانت قد بسطت سيطرتهاعلى شرق السودان ، وعين على سواكن القائد (عبدالله بوش الأرتيقي) [13] .

وبالرغم من ذلك الا أن العثمانيون أقاموا حامية في سواكن وجعلوا عليها قائداً ، وعملوا على بناء ثكنات للقوات وعمل التحصينات اللازمة لحمايتها وتأمين المواقع على البحر الأحمر ، ولكي يكونوا قريبين من الحبشة ، إلا أن سواكن قد دخلت في حوزة الدولة العثمانية طواعية وذلك بإجتماع الحكام المحليين وإنضمامهم إلى السلطنة العثمانية وقبولهم أن يكونوا تحت تبعيتها [14]. ولكن لم يقبل الشيخ عجيب بذلك وبدأ يشن الهجوم عليها ويهددها واستمر الوجود العثماني بسواكن حتى أصبحت في عام 1555 مقراً (أيالة) للإدارة الحبشية .

أيضاً نجد أن العثمانيون كانوا قد مدوا نفوذهم إلى شمال السلطنة من بلاد مصر في سنة 1530م وذلك بإرسال قواتهم لعمل حاميات لحمايتهم من القبائل التي تسكن تلك الأنحاء [15] وقد استقرت السرية الأولى في منطقة الّدر بالنوبة المصرية ،وطرف آخر منها في جزيرة صاي التي كانت عاصمة إقليم السكوت ، وكانت تتكون السرية من عناصر أثنية متعددة منهم البوسنيون والهرسك والمجريون وبعض جاليات البحر المتوسط [16] وشراكسة وأرناؤط والتركمان ، وقد انتصر العثمانيون على قوات الفونج في معركة حنك على بعد كيلومترات من الشلال الثالث ، وأسسوا حصون دفاعية في جزيرة صاي واصبحت تدار هذه المنطقة لصالح الوالي العثماني في مصر [17] وفرضوا على الأهالي دفع 24 مداً من الحبوب في السنة و13 ثوباً من نسيج النوبة المسمى فونجي وهو ما يعرف بالدمور [18] .

وبهذا نستطيع أن نؤكد أن العلاقة بين سلطنة الفونج والدولة العثمانية في شمال البلاد إتسمت بالصراع ولكنهم لم يشكلوا عائق في سبيل الطرق التجارية مع مصر .

ثالثاً : علاقة الفونج مع بلاد الحجاز :-

تعتبر بلاد الحجاز قبلة المسلمين جميعاً لذلك بلور اتجاه السلطنة الديني صورة العلاقات مع بلاد الحجاز والتي تتمثل في النواحي الآتية :

الناحية السياسية :-

كانت بلاد الحجاز تخضع للسلطان العثماني الذي تولى مهمة الدفاع عن الأراضى المقدسة وعن الإسلام ضد التوغل البرتغالي في الحجاز ومحاولة إحتلال مداخل البحار التي تطل على البلاد الإسلامية في عدن ومساندة المسلمين بالحبشة ضد المسيحيين الذين استعانوا بالبرتغال [19] كما ذكرنا سابقاً .

ولكن نجد أن السلطنة قد آمنت على سلطنة سنار وتخلت عن حربها والزحف إليها مما افسح المجال لوجود الصلات بين مملكة الفونج وبلاد الحجاز .

الناحية الثقافية والدينية :-

كانت الصلات بين مملكة الفونج الإسلامية والحجاز صلات وثيقة ومتصلة عن طريق الحج حيث كانت تهوي قلوب ونفوس الأهالي والسكان من السلطنة إليها كما أن الطرق بين الفونج والحجاز متصلة أيضاً عبر البحر الأحمر ، ومن ثم عملت على تذليل الصعاب التي كانت تعترض الحجاج للوصول إلى الحجاز خاصة في عهد عجيب المانجلك الذي قام بمجهودات كثيرة منها :

- تمهيد طريق الحج من السودان حيث كان شاقاً يمر بشرق السودان عبر التلال والجبال حيث تمكن من شق الطريق الذي توجد به اليوم محطة آدية [20].
- توفير المياه الصالحة للشرب وذلك بأن حفر حفيراً ضخماً جنوب سواكن يمتلئ بالمياه في موسم الخريف أطلق عليه حفير شان [21] .
- قاد الشيخ عجيب بنفسه أول وفود الحج سالكاً هذا الطريق حيث أراد إظهار عظمة ومكانة بلاده بين كل الوفود الإسلامية .
- قدم الهدايا الثمينة للحكام والمشاهير من العلماء .

بالإضافة لذلك نجد أن سلطنة سنار قامت بشراء منازل خاصة بالحجاج والمسافرين وجعلتها وقفاً للحجاج حول المسجد النبوي وكذلك الحال في مكة المكرمة [22] .

أيضاً شارك الملوك بعمل التحسينات التي أجريت على الأماكن الشرعية في الحرمين الشريفين وجمع لهذا الغرض قدراً كبيراً من ذهب جبال بني شنقول ، حيث أسهم في عمارة المسجد النبوي بالمدينة وتزيين القباب والمنارات [23] .

ونجد أن هذا الإتصال أملته العلاقات الدينية والثقافية والعلمية حيث هاجرمن السودان إلى الأراضي المقدسة عدداً من علماء البلاد لتأدية فريضة الحج. وكذلك وفد إلى السودان العلماء من الحجاز واقاموا فيه فكانوا محل حفاوة عندما يحلون بدار السلطنة حتى أن الشيخ عجيب تتلمذ على الشيخ تاج الدين البهاري [24] .

كما كانت الحجاز أيضاً ملاذاً للفارين من عقاب سلطان الفونج كما حصل للفقيه عبداللطيف بن الخطيب عمار ، كما توجد مجموعة من الشيوخ الذين دخلوا الحجاز وتتلمذوا على رجال الطرق الصوفية وأسسوا بعد عودتهم السودان فروعاً لتلك الطرق فمثلاً الشيخ حمد بن محمد المجذوب أس بعد عودته فرعاً للطريقة الشاذلية في الدامر وسميت طريقته بالمجاذيب [25] .

ولما كان للحج من أهمية فقد حفل كتاب الطبقات لود ضيف الله بذكر كثير من أخبار الحج ، ونلاحظ أيضاً أن أحمد كاتب الشونة قد جعل من الرحلة إلى الحج معلماً يؤرخ منه لأحداثه التي يرويها عن الأحوال في السلطنة منذ قيام قافلة الحج حتى عودتها من أراضي الحجاز مع إثبات السنة التي يتكلم عنها [26] .

الناحية التجارية :-

إرتبطت السلطنة بعلاقات تجارية قديمة وكانت المعبر لها من خلال ميناء عيزاب ثم سواكن ومصوع ، فقد كانت القوافل تخرج من سنار إلى سواكن محملة بالبضائع من عاج وذهب ورقيق وأيضاً تستصحب معها البضائع القادمة من غرب إفريقيا عبر أراضيها والتي تجد لها أسواق في أراضي الحجاز وكثيراً ما كانت ترتبط القوافل التجارية بقافلة الحج وكانت تعود منها بالبضائع المختلفة ، ولأهمية هذا كان للوالي العثماني في كل من سواكن ومصوع وكلاء تجاريين في سنار لإرسال البضائع إلى أرض الحجاز والجزيرة العربية [27] .

رابعاً : علاقة الفونج مع الحبشة :-

كان مصطلح الحبشة هو الذي يغلب على غيره أيام عصر السلطنة وهي الجاره التي تقع على الحدود الشرقية ، والحدود معها واسعة ومفتوحة تسمح بالحركة في سهولة ويسر وبينها تداخل في الحدود والقبائل مما مكن من استمرارية العلاقات بينهما .

وعلاقات السلطنة بالحبشة تعود إلى أحدى الروايات التي تتحدث عن أصل الفونج يعود إلى بعض بني مروان الذين هربوا من العباسيين في عام 570م وقد اختار هذا الفرع من البيت المرواني الحبشة ليلجأ إليها ثم انتقل أحد أفراده إلى كرن في شمال إريتريا ، حيث تزوج من ابنة ملكها وهنالك روايات أخرى تحدد مدناً أخرى كما تحدد أسماء مختلفة لشخص المرواني المهاجر [28] .

العلاقات السياسية :-

يمكن أن تقول أن الحبشة وهي تقود صراعها ضد الإمارات الإسلامية لم تتعرض للسلطنة فقد كانت في طور التكوين ومن المعروف أن الصراع كان صراعاً دينياً بل إستفادت السلطنة من هذه الحروب بأن جعلت العديد من القبائل العربية تفد إلى أراضيها للإحتماء بها والإستقرار فيها [29] .

ويمكن أن نستفيد من الرواية التي أوردها الرحالة داؤود بأنه قد وجد السلطان عمارة دنقس عام 1522م متجولاً في المناطق المجاورة للحبشة ولفترات طويلة ويعتبر هذا دليلاً على مدى الأمان الذي كانت تستشعره السلطنة تجاه الحبشة [30] . ونلاحظ أيضاً إعلان الامبراطور الحبشي مالاكاسيدالا عقيدة روما ديناً رسمياً للبلاد مما أدى إلى الإضطرابات حيث لجأ أفراد من بيت الحاكم الحبشي إلى سلطنة سنار ، مما دفع بمجموعة من الكاثوليك عام 1964م بتقديم إقتراح إلى روما بهدف إنشاء إرسالية تبشيرية في العاصمة سنار خدمة للمسيحيين الفارين من الإضطهاد الديني بالحبشة ، ولما تواصل تعذب المسيحيين إعيد الإقتراح مرة أخرى في عام 1697م . إلا أن السلطنة السنارية لم توافق [31] .

بالإضافة إلى أن بعض أفراد البيت الحاكم في سنار يفرون للإحتماء بالحبشة هرباً من العادة التي تقول بقتل حاشية الملك بعد موته [32].

وقد ذكر كرافورد في هذا الصدد أن عدد الفارين كان يفوق الأثنى عشر ألف فرد شكل هذا التنافس مناخاً خصباً لزعزعة الثقة المتبادلة بين السلطنة والحبشة وأحدث توتراً في العلاقات بينهما ، وقد أورد أسبولدنق أن سنار في هذا الوقت أصبحت تزدحم بجماعات الأوربيين من الطوائف المتنافسة [33] . بحيث أصبحت سنار معبراً للطوائف المسيحية المتصارعة على الحبشة من اليسوعيين الذين كانوا يتمتعون بدعم الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا إلى أن وصلت السلطنة معلومات تقول أن الحبشة تستعين بالبعثات المسيحية حتى يتم تدريبها على الأسلحة الثقيلة لقتال الفونج [34].

أصبحت السلطنة تتوجس من هؤلاء القادمين إليها في طريقهم إلى الحبشة وبلغ ذروته عندما وصلتها بعثة من لويس الرابع عشر ملك فرنسا إلى ملك الحبشة أياسو مع مبعوثه لانواردي دول بطريق النيل ومحملة بصناديق الهدايا الفاخرة[35]، دخل سنار وأقام فيها زمناً وأحسن السلطان إستقبالهم وإقامتهم ولكن وصلته الأخبار من مصر مشككة في البعثة وأنها ماضية لتدريب جيش الأحباش على الحرب الحديثة ،

أصبح السلطان غير مطمئن لهذه البعثة التي تحمل كل هذا الكم من الصناديق فقتلت قوات الفونج المبعوث وإستولت على تلك الصناديق [36] ،نقلت هذه الواقعة العلاقات بين البلدين إلى دائرة جديدة اتسمت بالحرب المسلحة إذ وقعت بينهما حربين يمكن أن نلخص بعض من الأسباب التي أوردها المؤرخون لقيام هذه الحروب .

أولا: لم يرضى الامبراطور بأن يقتل السفير المرسل إليه ولذا سعى في القتال مع الفونج إكراماً لهذا الزائر الكريم وربما لنصرة دينه [37] .

ثانياً : توجس الفونج من نوايا الحبشة في تغيير مجرى النيل الأزرق وذلك بمعاونة هؤلاء الأوربيين .

ثالثاً : المصادر المحلية التي تذهب إلى أن السبب في تلك الحروب هو الغلو والتطرف الذي قاد ملك الحبشة لقتل أحد المتصوفة مما جعل سلطان الفونج يستنفر كافة الشيوخ بالدعاء لنصرة جيوش الفونج عليه وقد نصرهم الله حيث عبر عن شكره لله والفرح بهذا النصر بأن زين المساجد والأسواق وأقام ليالي الذكر [38] .

حدثت الحروب الأولى ما بين 1618م – 1619م وكان ورائها قنصل فرنسا في مصر الذي عمل على إتهام إمبراطور الحبشة بأنه حرض سلطان سنار ومرة يتهم سلطان سنار فيحرض عليه حاكم سواكن بأن يعلن إعترافه بشيخ العبدلاب سلطاناً فعلياً على سنار ، وأن يرسل أحد الأغوات إلى سنار لعزل السلطان بادي بعد مقتل دي رول وأن يقطع العلاقات التجارية مع سنار وذلك في نوفمبر عام 1656م [39] .

واستمرت حالة التوتر بين الحبشة وسنار طوال فترة حكم الأباطرة من الأحباش وأخذوا يرسلون بعض الغزوات على الحدود السنارية حتى عهد أياسو الثاني 1730 – 1755 وكان على سنار السلطان بادي ابوشلوخ ، فاعد أياسو الثاني جيشاً كبيراً لغزو سنار وقد فشلت هذه الحرب .

الحرب الثانية مارس1744م وكانت كالآتي :-

أولاً : استخدمت فيها القوات الحبشية إستراتيجية عسكرية تهدف إلى طرد الأهالي من مناطقهم وقتلهم وقد ذكر مكي شبيكة انهم طبقوا هذه السياسة لأكثر من ثمانية أيام[40] .

ثانيا : حاول العرب الذين يقيمون على نهر الدندر مقاومتهم والوقوف ضد سلب البهائم وحرق القرى فقاموا بإرسال مواشيهم بعيداً عن مناطق القتال.

ثالثاً : سارت القوات حتى وصلت إلى منطقة شرق سنار وحدث هرج بين السكان إلا أن السلطان بادي إستجاب للخطة التي قال بها السلطان خميس سلطان دارفور بعبور القوات خارج سنار إلى الضفة الشرقية حيث إستفاد من انقسام جيش الحبشة إلى قسمين فأنزل بهم الهزيمة[41] نتيجة لذلك نستنتج الآتي:-

أ _ رفعت هذه المعركة من مكانة السلطنة في العالم الإسلامي والذي كان يتابع هذه المعركة ، وفرح سلطان الدولة العثمانية لهذا النصر .

ب _ أظهرت الواقعة قيمة التضامن الذي ظهر في تعاون السلطان خميس سلطان مملكة الفور الإسلامية الذي كان في قيادة المعركة .

ج _ رفض حاكم سواكن اجابة التحريض الذي كان يقوم به السفير الفرنسي ضد سلطان الفونج

د _ انفتحت البلاد بعد هذه الحرب حتى قصدتها الوفود من الحجاز والسند والهند وأهل مصرو صعيد مصر والمغرب واستوطنوا فيها [42] .

ه _ أوجدت هذه المعركة القوات المتصارعة بين الفونج وإشترك في هذه المعركة الشيخ محمد أبولكيلك والشيخ الأمين من العبدلاب والذي كان قائداً للقوات [43].

العلاقات التجارية مع الحبشة :-

على الرغم من توتر العلاقات السياسية السنارية الحبشية فقد ارتبطت السلطنة مع الحبشة بعلاقات تجارية حيث كانت أسواق سنار ملأى بالبضائع التي يجلبها الجالا والخبرتة من العاج والبخور والمسك والتوابل والجلود والبن .

وكان التجار الأمهرا والتقراي يصلون إلى أسواق المتمة للمقايضة مع الجعليين بالملح والأقمشة وعقود الخرز المشكلة [44] كما كانت الطرق التجارية بين الحبشة والسلطنة آمنة بحيث تنقل من خلالها البضائع الواردة من المغرب ومصر وحوض البحر الأحمر ، وقد أتخذت منطقة غندار نقطة إرتكاز للتبادل التجاري بينهما ، وأهم ما كانت تستورده الحبشة من سنار إلى جانب البضائع المختلفة من العطور والكحل والمحلب والمسك والصندل فكان أهمها السيوف المطلية بالذهب [45] .

رابعاً : علاقات الفونج مع اليمن :-

ساعد موقع اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية ،وصغر حجم الفاصل البحري ،ووجود شواطئ طبيعية في الشق الأفريقي بأن تكون معبراً للقبائل والقوافل التجارية ، حيث توغلت عن طريقها القوافل العربية وصاهروا قبائل البجة والنوبة [46] .

أولاً : الناحية الثقافية والدينية :-

العلاقات بين بلاد اليمن والسودان قديمة فتعتبر اليمن أول مصدر للثقافة الدينية والصوفية في السودان منذ القرن الرابع عشر الميلادي فقد ظهر العلماء الذين ساهموا في نشر التعليم الديني في السودان ، فكان أحد هؤلاء هو الشيخ غلام الله بن عائد جد الركابية ، وقد أسس خلوة بدنقلا وبنى المساجد وقام بتعليم القرآن والعلوم ، وخرجت من ذريته مجموعة من علماء الدين نشروا الثقافة في دار الشايقية ، وقد ذكر ود ضيف الله أسماء مجموعة أخرى من العلماء الذين وفدوا من اليمن للسودان منهم الشيخ حمد ولد زروق من حضرموت بأرض اليمن وسكن الصبابي ، والشيخ جبارة والفقيه جار النبي الذي كان عبداً صالحاً وفقهياً [47] .

ثانياً : الناحية التجارية :-

ترتبط سلطنة الفونج مع اليمن بعلاقات تجارية حيث كانت القوافل تذهب عن طريق سواكن ومصوع وتعبر تجارتها إلى جنوب الجزيرة العربية ودول شرق آسيا والهند [48] .

وتجار سنار يقيمون في سواكن ومنها ينطلقون إلى مخا والتي تتبع لملك اليمن ومن هنالك إلى اليمن حاملين الذهب وسن العاج ويستوردون منها التوابل والسلع الآتية من بلاد الهند[49] .

خامساً : علاقات الفونج مع المغرب العربي :-

الروابط الثقافية بين السودان والمغرب ترجع لفترات طويلة ، وتظهر تجليات الارتباط الثقافي بين البلدين بارزة من خلال الارتباط المذهبي خاصة في إتباع المذهب المالكي والذي يعتبر سائداً في كثير من الدول الإفريقية لذلك فإن العامل الديني والروحي هو الذي يطفي على الروابط الثقافية بين السودان والمغرب .

ولقد أسهمت بلاد المغرب في دعم الحركة الفكرية في مملكة الفونج من خلال التأثيرات الثقافية التي انتقلت إلى الفونج عن طريق مجموعة من العلماء المغاربة الذين هاجروا إلى سلطنة الفونج حيث طاب

لهم المقام وإستقروا في ربوعها ومنهم الشيخ التلمساني الذي قدم على الشيخ محمد ود عيسى سوار الذهب وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن من تجويد وروايات ونحوها ، ومنهم الشيخ عبدالكافئ المغربي الذي تتلمذ عليه الشيخ إدريس بن الأرباب وعلمه التصوف ومنهم الشيخ الحاج موسى جد الشيخ حسن ود حسونة ، ومنهم الشيخ دفع الله بن مقبل وسعد ود شرشاي [50] .

سادساً : علاقة الفونج بالعراق :-

علاقات الفونج ببغداد كانت ترتبط بمجموعة من العلماء البغداديين الذين جاءوا إلى دنقلا لتعليم الناس أمور الدين ، وكذلك مجئ الشيخ تاج الدين البخاري البغدادي إلى السودان بدعوة من أحد الحجاج السودانيين ، وكان لهذا الشيخ الفضل في دخول الصوفية بلاد الفونج وهو من اتباع الشيخ عبدالقادر الجيلاني وقد سلك الطريقة القادرية عليه مجموعة من المتصوفة أمثال الشيخ بانقا الضرير ، والشيخ الهميم ، والشيخ حجازي والشيخ شاع الدين وغيرهم [51] .

سابعاً : علاقة الفونج مع غرب إفريقيا :-

ظهور دولة الفونج ساهم في خلق وتطوير علاقات قوية بين العالم الإسلامي في الشرق الأوسط والممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وذلك من خلال رحلات الحجيج التي تأتي من الممالك في غرب إفريقيا عبر مملكة الفونج ، كانت السلطنة السنارية حلقة وصل بينهما مما اسهم في نشر الدين الإسلامي والعلوم الدينية في ممالك غرب إفريقيا [52].

علاقة مملكة الفور الإسلامية الخارجية :-

لقد بدأ الإسلام ينتشر في سلطنة الفور عبر الطرق التقليدية إنتشاراً سلمياً وفي هدوء مع حركة التجار المسلمين ، من أطراف القارة الأفريقية من الشمال والشرق والغرب ، ومع المهاجرين والمرتحلين والحجاج وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التهيؤ ، ثم تنتهي هذه المرحلة بعد أن إستمرت سنوات لتبدأ مرحلة النضج والإزدهار التي تعد فيها قيام سلطنة الفور الإسلامية إيذاناً بوصول الإقليم إلى مرحلة التمكن في الثقافة الإسلامية ، ويعد مؤشراً واضحاً لأثر الهجرات العربية والإسلامية التي تغلغلت في الإقليم واضحت جزءً لا يتجزأ من بنائه الحيوي على كافة الأصعدة سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وثقافياً ،

هذا فضلاً عن مؤثرات أخرى ساهمت بدور بارز في حضارة الإقليم ، كالتجارة والحج مما عززت علاقات سلطنة الفور الخارجية[53] .

تضاربت الروايات التاريخية حول نشأة السلطنة ، ولعل أهم تلك الروايات الرواية الأولى التي قالها نعوم شقير بأن هذه السلطنة نشأت في عام 848هـ ، 1445م ، تبناها عدد من المؤرخين العرب [54]، أما الرواية الثانية تقول أن سلطنة الفور قامت على يد السلطان سليمان سولونج في عام 1005هـ ، 1596م وصاحب هذا الرأي هوتر منجهام [55] أم الرأي الثالث فقد إنفرد به الدكتور مصطفى مسعد ، حيث يرى أن السلطان سليمان أقام سلطنته في عام 1019ه ، 1610م [56] الرأي الرابع الذي يذكر أن السلطان سليمان سولونج قد حكم دارفور 1055هـ،1646م واستمر في الحكم حوالي عشرين عاماً إلى عام 1076هـ ،1665م كما يرى ناختفال [57] ، في حين يرى آركل أن قيام السلطنة كان في عام 1050هـ ، 1640م على يد السلطان سليمان سولونج الذي استمر حكمه للبلاد حتى 1081هـ ، 1640م وكما تبنى هذا الرأي الرحالة وليم براون [58] .

هذه هي مجمل الآراء التي تناولها المؤرخون ، والملاحظ أن هنالك تفاوتاً في نشأة السلطنة من رأي إلى آخر وهذا يؤكد أنه لا توجد آراء قاطعة في هذا الشأن .

إن معظم الروايات التي جعلت قيام سلطنة الفور في وقت متاخر تعود إلى أواخر القرن السابع عشر هي روايات وردت من الكتاب الأوربيون ، وهي ربما تكون ضعيفة الدليل ، ولا تتماشى مع طبيعة التطور التاريخي للمنطقة ، حيث كان العرب والمسلمون قد أخذوا بزمام التجارة التي كانت تعبر دارفور من الغرب والشرق ومن الشمال إلى الجنوب منذ قرون عديدة ، سبقت القرن السابع عشر الميلادي ، وأدت هذه التجارة لنشر الإسلام والثقافة العربية من نهر السنغال غرباً إلى نهر النيل شرقاً [59] ، وربما الهدف من هذه الروايات هو طمس للملامح الإسلامية في هذا الإقليم ، وأن السلطنة الإسلامية في دارفور ليست عميقة الجذور في السودان ، وهكذا يبدو أن التاريخ الأقرب إلى التدوين بتولي سليمان سولونج ملك السلطنة سنة 1640 – 1670م الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لسلطنة الفور الإسلامية ، فأتخذ من بلدة نامي عاصمة له ، ونظراً لعروبته فقد حبب إليه القبائل العربية المنتشرة في البوادي والصحراء ثم

أخضع الخارجين عليه وحقق وحدة البلاد كلها وخاض في ذلك ثلاث وثلاثون معركة اخضع فيها القبائل وقضى على حركة قام بها التنجور لاسترداد حكمهم [60] .

تعاقب على حكم دارفور بعد وفاة سليمان عشرة من سلاطين الفور من أسرة الكيرا وحتى ضياع إستقلالها في 1874م [61] ، ومن أميز سلاطين هذه الفترة السلطان عبدالرحمن الرشيد بن أحمد بكر (1787 – 1802م) ، الذي يعتبر عهده صفحة جديدة في تاريخ دارفور السياسي ، حيث نقل العاصمة من شوبا إلى الفاشر 1793م وبذلك سيطر على طريق المواصلات الإقليمية والعالمية المتصلة بدارفور ، مما فتح الباب أمام هجرة رجال العلم والدين فجاء الرحالة متقاطرين إلى دارفور ، منهم الرحالة الإنجليزي وليم براون وهو أول رحالة أوربي يزور دارفور ، كما زار دارفور بعض العلماء ، ومنهم الشيخ عمر بن سلمان التونسي في عهد السلطان محمد الفضل واقام سبع سنوات ألف بعد عودته من مصر كتاب تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان والذي يعتبر مرجعاً مهماً عن تاريخ دارفور ، وخلف هؤلاء الرحالة معلومات مهمة عن تاريخ دارفور الحضاري ، كما شهدت فترته هجرة العلماء الوافدين من غرب إفريقيا [62] وكان محباً للعلم والعلماء ، كما شهدت فترته توطيد صلاته بالعالم الخارجي ، فخاطب السلطان العثماني الذي شكره بخطاب رقيق ولقبه بالرشيد ، وكما أنه هنأ نابليون بونابرت على انتصاره على المماليك الذين هددوا الطريق بين دارفور ومصر ، اهتم نابليون برسالة السلطان ، فرد عليه فور وصوله من مهمته في بلاد الشام [63]. مهما يكن من أمر فقد قامت في دارفور سلطة سياسية مستقرة ذات نظام إداري متميز يعتمد على مشاركة زعماء القبائل . ولكنه كان نظاماً ملكياً مطلقاً يعتمد على قوة وشخصية السلطان الذي يمثل السلطة العليا في البلاد [64] .

أولاً : علاقة مملكة الفور الإسلامية بمصر :-

كان لتأصيل علاقات دارفور بغيرها من الدول الإسلامية ولاسيما مصر التي كان لها إتصالاً وثيقاً بدارفور من النواحي الآتية :

الناحية الدينية والثقافية :-

إنتشرت المساجد والخلاوي والمدارس القرآنية في معظم أجزاء دارفور وكانت تدرس فيها الوعظ والارشاد وتعليم القرآن وحفظه والأحاديث النبوية باللغة العربية ثم يفسرها للناس بلغاتهم المحلية

ليفهموها [65] وبعد أن يتخرج الطالب في هذه المدارس ، أما أن يعود إلى قريته ليصبح معلماً للقرآن الكريم والذي يعرف بالفكي أو أن يهاجر للمزيد من العلم ، وقد ذهبت مجموعة منهم إلى الأزهر الشريف ، وكان في مقدمتهم أبناء السلاطين والعلماء ، ويبدو أن عدد طلاب دارفور كان كبيراً لحد يسمح بأن يكون لهم رواق خاص بهم فيتعلمون ويعودون شيوخاً لنشر العلم بين أهلهم [66] .

ومن الدارفوريين الذين تلقوا العلم في الأزهر وعادوا لنشر الثقافة الإسلامية والعربية الشيخ محمد البدوي الذي مكث فيه نحو عشر سنوات والذي إستقر في الفاشر ثم إلى بلدة أم شنقة وفتح فيها مدارس لتعليم أبنائها ، أيضاً الشيخ صالح إدريس وهو من أهالي منطقة طرة ومكث فيها ثماني سنوات ثم عاد وعين قاضياً وإماماً في منطقة القلابات .

كما وفد علماء مصريين ومغاربة ومن الكانم والبرنو الذين درسوا في الأزهر ، وأسهموا في نشر العلوم الدينية ، الوعظ ، الارشاد والتعليم في المساجد ، ومكاتب العلم التي الحقت بالخلاوي التي انتشرت في أنحاء السلطنة حتى صارت في دارفور نهضة دينية مرموقة وقد ساعدها على هذا مركزها الإقتصادي ، وموقعها على طرق القوافل التجارية وكل ذلك مكنها من الإتصال بالعالم الإسلامي [67] .

الناحية التجارية :-

عرف أهل دارفور التجارة الخارجية منذ القرن السادس عشر الميلادي ، والواضح أن العلاقات المصرية الدارفورية بدأت بالتجارة وتبادل السلع التجارية ، فيذهب التجار المصريون إلى دارفور بكميات من العطور والروائح الهندية ، والصابون والمنسوجات ويرجعون بالرقيق والصمغ وسن الفيل ...إلخ. وازدادت العلاقات بين البلدين قوة واستمرارية [68] .

لعل أهم الطرق البرية التي ربطت دارفور بالعالم الخارجي هو درب الأربعين ذلك الطريق الصحراوي الذي لعب دوراً في الارتباط العضوي بين البلدين وشكل معبراً هاماً منذ عصر الأسرة السادسة الفرعونية فقد استخدمه الرحالة الشهير حرفوف أبان رحلته للسودان لذلك له دور في التأثير الحضاري والتجاري بين الدول الإسلامية [69].

وهذا الطريق الرئيسي له فروع عديدة مختلفة تصله بالواحات الأخرى المنتشرة بالصحراء الغربية ويمكن الوصول إليه من عدة مدن مصرية على النيل [70] .

وقد ساعد على إزدهار درب الأربعين توفر مصادر المياه الجوفية من آبار وغيرها في الصحراء الكبرى ولا تزال حتى اليوم كثير من الشواهد الميدانية تدل على ذلك منها بئر مر ، أبو والحسنين ، وكبيسة ، وكريم ، والنخلاوي ، وبئر النطرون ، وتشكل الآبار محطات تجارية مصممة للاستجمام والراحة والتزود بالمياه ، وقد قدر الرحالة وليم براون هذه المحطات التجارية من أسيوط حتى كوبي بحوالى أثنتي عشر محطة بالرغمن من أن هذا الطريق يشق منطقة صحراوية قاحلة إلا أن التجار يفضلونه أكثر من غيره من الطرق التجارية الأخرى لدواعي الأمن وتحاشي الضرائب والجمارك التي تؤخذ منهم على الطريق النيلي وكذلك فقدهم لكثير من بضائعهم بسبب الرشاوي والهدايا التي يدفعونها لزعماء القبائل في تلك المناطق [71].

هذه التسمية درب الأربعين نابعة أن الرحلة من أسيوط في مصر حتى كوبي في دارفور تستغرق في الغالب أربعين ليلة على أقل تقدير ، على أن هذه المدة الزمنية قد تطول أو تقصر عن الأربعين يوماً تبعاً لسرعة القافلة أو كمية الحمولة ، وتعتبر الجمال هي الوسيلة الوحيدة والمثلى لنقل البضائع [72] .

على أن هذا الطريق نفسه لا يخلو من المصاعب فبعض قبائل دارفور وشمال السودان وشمال كردفان كانوا يشكلون عقبة في طريق التجارة من مصر بغاراتهم الخاطفة على التجار وهم يستريحون مما حدا بسلاطين الفور أن يرسلوا لهم وحدات من العساكر لحمايتهم تحت إمرة التكيناوي [73] ، أما في مصر فإن المماليك كانوا دوماً يسببون إضراباً للقوافل التجارية بين دارفور ومصر وكان هذا هو السبب الذي دفع السلطان عبدالرحمن الرشيد لأن يكتب إلى نابليون مهنئاً بالانتصار على المماليك كما ذكرنا سابقاً .

كذلك فإن القوافل التجارية كانت تتعرض إلى التيه والضياع بسبب سوء الأحوال الجوية مما يؤثر على سير القافلة ، كما أن قلة خبرة الخبير يؤثر أيضاً على سير القافلة التجارية وبالرغم من هذه العوامل فإن درب الأربعين من الطرق التي حسنت الإتصال التجاري بين البلدين ، كما شهد حركة دائبة للقوافل التجارية ورحلات الحج السنوية [74] .

قافلة دارفور :-

كانت تمثل القافلة الرئيسية في مجال التبادل التجاري بين دارفور ومصر وتبدأ كما ذكرنا من كوبي العاصمة التجارية لسلطنة سنار حتى أسيوط ولما كانت المسافة بينهما تقدر بحوالي ألف ومائة وأثنين

وثمانين ميلاً فإن القافلة كانت تحل رحالها في عدة محطات تجارية وذلك تحت حماية رئيس القافلة ، ولا يسمح للقافلة بالتقدم حتى تسدد ما عليها من رسوم ، وكانت قافلة دارفور ذات طابع الاستمرارية ، وكان تجار دارفور مشهورين في القاهرة بأنهم اسخى في الدفع من تجار القوافل الأخرى فقد كانت لهم رؤوس أموال كبيرة ويؤتمنون على قروض وفيرة ، مما جنى المصريون من ورائها أرباحاً طائلة ، وقد أشار إليها الحسن الوزان في منتصف القرن السادس عشر قائلاً (إن سكان منفلوط والمنيا أغنياء لأنهم يتاجرون مع دارفور) ونتج عن ذلك انتعاش متبادل للتجارة بين مصر ودارفور، واصبحت قافلة دارفور هي الرئيسية في عملية التبادل التجاري بين مصر والسودان الشرقي والأوسط والمغرب العربي [75] .

السلع الرئيسية التي كانت تحملها القافلة إلى دارفور تشمل المنسوجات القطنية والحريرية والكتانية ، الشيلان الهندية والمصنوعات الحريرية الواردة من أوربا والأسلحة النارية ، وأدوات الزينة ، والسلع المصرية والأسيوية والأوربية لذلك تعتبر مصر ملتقى طرق القوافل البرية والبحرية نسبة لموقعها الإستراتيجي [76].

وهكذا كانت العلاقات التجارية بين دارفور ومصر قوية ومؤثرة وفاعلة ، كان تأثيرها واضحاً على النواحي الإقتصادية والثقافية والاجتماعية والعمرانية في دارفور .

ثانياً : العلاقات الدينية بين مملكة الفور والحجاز :-

صلات دارفور بأرض الحرمين الشريفيين صلة طبيعية درجت عليها أغلب الممالك الإسلامية في العصور الوسطى والحديثة وذلك بسبب الحج إلى الأراضي المقدسة الذي يحتل مكاناً خاصاً في قلوب مسلمي بلاد السودان الغربي [77] .

وبذلك ارتبطت سلطنة الفور عن طريق الحج بالأراضي المقدسة ، فقد قام بعض السلاطين من أسرة الكيرا ، ومنهم السلطان محمد تيراب وكان بصحبة بعض رجال العلم والفقهاء ، وكبار رجال الدولة ، والخدم والاتباع ، في موكب ضخم ، ويأخذ معه الأموال لكي يوزعها على فقراء الحجاز ، وفي طريق عودته يستصحب معه بعض رجال العلم من الأراضي المقدسة إلى سلطنته [78] .

ظلت سلطنة دارفور ذات سلطة مستقلة لا تدين بالولاء لأي جهة غير أنها كانت حريصة على دفع صرة الحرمين الشريفيين إلى الأراضي المقدسة سنوياً، حيث يتم جمع المساهمات من مختلف أنحاء السلطنة

ويذهب الموكب المحمل إلى مصر ومعه الريش والسمن والصمغ وغيرها من خيرات ويتم بيعها وبثمنها تكون نقود الصرة التي ترسل مع الحجيج إلى الحرمين مع الركب المصري [79] .

وظل هذا التقليد متبعاً حتى سقوط السلطنة في عهد السلطان إبراهيم محمد حسين 1839 –1874م بالرغم من فترات الإضطراب السياسي والضعف الاقتصادي ، أيضاً ساهمت دارفور بارسال رجال لخدمة البيت والحرم الشريف ، ومن هنا يتضح الدور المهم لسلطنة الفور الإسلامية في خدمة الحرمين الشريفيين مادياً ومعنوياً وإلتزامها الديني لدعم العلاقات الدينية والثقافية بين البلدين .

ثالثاً : علاقة دارفور مع شمال القارة الإفريقية :-

كانت لدارفور علاقات وطيدة بشمال القارة الافريقية ، ليبيا ، وتونس ، والمغرب وترجع لفترات تاريخية قديمة ،إتسمت هذه العلاقات بالجانب الاقتصادي والتجاري وكانت له أبعاد ثقافية ودينية وإجتماعية وسياسية [80] . ولقد إرتبطت دارفور بشمال افريقيا عبر طريقين هما :

أولاً : الطريق الذي يبدأ من منطقة الواياتي بشمال دارفور ويتجه إلى الناحية الشمالية الغربية ليمر بقرية بسارا ، والكفره ، وعبر واحة جالوت ، فطرابلس وتونس لتربط دارفور بموانئ البحر الأبيض المتوسط

ثانياً : الطريق الذي يبدأ من كوبي بدارفور إلى كوكاوا عاصمة برنو ثم يتجه شمالاً إلى كانم ، بلما ، وجادو ، وفزان ، وطرابلس ، ويتفرع عند فزان ليتجه شرقاً ليربط مصر بشمال إفريقيا [81] .

ونجد أن إنتظام العلاقات بين دارفور وشمال إفريقيا كان يتوقف على إستقرار الأوضاع في امبراطورية البرنو الإسلامية في وسط إفريقيا فهي كانت ملتقى طرق القوافل التجارية .

بالرغم من حالة عدم الأمن والاستقرار التي كانت تسيطر على القوافل التجارية بين دارفور وشمال إفريقيا إلا أنها كانت تجارة رائجة تخصصت في جلب الأسلحة النارية ، فمثلاً السلطان تيراب كان يرسل سنوياً قافلة أو قافلتين محملة بالرقيق وريش النعام والبضائع الأخرى لتونس ليباعو ويشتري بثمنهم الأسلحة النارية لتطوير جيوشه [82] .

أهم المنتجات الدارفورية إلى شمال إفريقيا هي ،ريش النعام ، العاج ، الجلود ، جلود الفهود ، وغيرها أما السلع والبضائع التي كانت تستوردها دارفور من بلاد المغرب العربي ، المنسوجات القطنية شيت ، حرير ، والبرانيس الذي يصنع في إنجلترا ، والخرز الزجاجي ، والأسلحة النارية التي كانت تصنع في

إيطاليا وألمانيا ، وأوراق الكتابة ، والأواني الزجاجية ، والطرابيش المغربية ، وأقداح القهوة ، والملابس الجاهزة والصابون ، والنحاس الأصفر الذي إشتهر الطوارق بتجارته مع دارفور، لعل بعض صادرات دارفور كانت تباع في برنو أو عزان قبل وصولها إلى موانئ شمال إفريقيا [83] .

رابعاً : الناحية الدينية :-

من الآثار المباشرة للإتصال بين دارفور ودول شمال إفريقيا نشأت الطرق الصوفية في دارفور فقد كان للصوفية دور كبير في إنتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، عملت الطرق الصوفية على التقريب بين القبائل والأجناس وبذلك لها دور رائد في دمج المجتمعات الإفريقية في دارفور ، أهم الطرق الصوفية التي انتشرت في دارفور تتمثل في الآتي :-

الطرق التجانية :-

تعتبر الطريقة التجانية من أكثر الطرق الصوفية نشاطاً في إفريقا ، مؤسسها هو الشيخ سيدي أحمد التجاني بن سيدي أحمد مختار بن أحمد ينتمي نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ولد الشيخ أحمد التجاني ببلدة عين ماضي في جنوب الجزاءر 1500هـــــــ – 1737م [84]

إنتقلت هذه الطريقة إلى دارفور مع التجار ومع حركة الحجيج والفقهاء المتجولين ويعتبر الشيخ سيدي محمد المختار بن عبدالرحمن الشنقيطي هو أول من أدخل الطريقة التجانية إلى دارفور ، ولقد كان تاجراً بين دارفور والمغرب العربي ومصر ، أهم اتباعه السلطان محمد حسين سلطان دارفور والشيخ محمد البدوي .

إنتشرت هذه الطريقة وسط طبقة التجار ورجال الدين وكونت قوة اقتصادية كبيرة ساعدت على انتشار الطريقة بين السكان المحليين في دارفور [85] .

الطريقة السنوسية :-

إنتشرت هذه الطريقة في بلاد المغرب العربي ، مؤسسها هو محمد بن علي السنوسي 191 – 1859م ووجدت إقبالاً في ليبيا وكانت لها زوايا عديدة ، في طرابلس ، وبرقة ، والكفرة ، الدعوة السنوسية تسربت إلى دارفور مع التجار الطوارق الذين أسسوا لهم زاوية جنوب الفاشر مع الشيخ أبوبكر القداسي

وزاوية أخرى شمال جبل الميدوب ، وانتشرت هذه الطريقة أيضا وسط القرعان ، والزغاوة والشناقيط وهؤلاء هم السنوسيون في السودان وفي دارفور ، وكانت تعمل بتجارة الإبل بين ليبيا ودارفور [86] .

رابعاً : علاقة مملكة الفور مع غرب إفريقيا :-

ظلت سلطنة الفور مع أشهر الممالك الإسلامية في القارة الإفريقية وكانت تتمتع بالإستقرار السياسي والإزدهار الإقتصادي بسبب موقعها المتميز الذي جعلها القوة التجارية المسيطرة على طرق التجارة بين الشرق ، الغرب ، الشمال ، هذا بجانب أنها تتوسط طرق الحج بين غرب إفريقيا والأراضي المقدسة كل هذا جعل من دارفور مركزاً حضارياً ومصدر اشعاع ثقافي وديني مهم الأمر الذي قوى من أواصر العلاقات بينها وبين الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا [87] .

الناحية التجارية :-

تعتبر العلاقات التجارية بين البلدين كانت أساساً قوياَ في استمرا الارتباط بينهما ، ويعتبر الطريق الغربي المنفذ التجاري الثاني لسلطنة الفور ، وقد ساعد في ربط السلطنة بغرب إفريقيا ، بالإضافة إلى إنتقال ثقافات تلك المناطق لتتلاقح فيها ، الأمر الذي جعل بعض المؤرخين يقولون بأن التركيبة الثقافية لدارفور لا تمت بصلة إلى الهجرات العربية من الشرق بقدر ما تمت إلى مجموعة العلماء والحجاج الوافدين من غرب إفريقيا في طريقهم إلى مكة المكرمة [88] .

لقد إرتبطت دارفور بعدة طرق داخلية ساعدها على ذلك أنها تتوسط القارة الافريقية ومن ثم إمتدت إليها الطرق من اتجاهات كثيرة خاصة من السودان الأوسط والسودان الغربي ومن أهمها :

أولاً : الطريق الذي يبدأ من غانا ويشق بلاد الهوسا فبلاد البرنو ثم الكانم ووادي إلى كوبي بدارفور ومنها شرقاً عبر كردفان إلى سنار فسواكن ومن هناك إلى الأراضي المقدسة ، ويتفرع هذا الطريق من أبشى أهم مدن سلطنة وادي إلى ثلاثة فروع رئيسية تتجه كلها صوب دارفور .

ثانياً : الطريق الذي يربط دارفور بالنيجر ، ويبدأ من كوبي ويتجه غرباً إلى أبشي ، ومنها إلى حوض بحيرة تشاد ثم إلى النيجر .

ثالثاً : الطريق الجنوبي ، هو الذي يمر بجنوب دارفور وبمنطقة أعالي النيل ، والمنطقة الإستوائية ببحيرة تشاد ومملكة البرنو ، هذا الطريق هو الوحيد الذي لم تسلكه القبائل العربية فقد سلكته القبائل

الزنجية من غرب إفريقيا ومنها إلى دارفور وسنار وهو الطريق الذي سلكه السلطان علي بن عمر سلطان برنو 1645 – 1684م ومن المرجح عبره انتقل التأثير البرناوي إلى سلطنة سنار [89] .

رابعاً : الطريق الذي يربط غرب القارة الإفريقية بشرق إفريقيا ويبدأ من مركز تمبكتوم ويمر ببلاد برنو وكوكاوا ، وادي ، ومنها إلى دارفور وكردفان وسنار والحبشة ومنها إلى منطقة القرن الإفريقي .

وقد تميزت هذه الطرق بالأمن وشعر مرتادوها من التجار والحجاج بالطمأنينة ، وتوفر أماكن الراحة ، كما كانوا يشترون طعامهم عن طريق المقايضة ، وعملت الممالك الإفريقية على بسط سيادتها على طرف الطرق وتأمينها من قطاع الطرق ، لذلك اندفعت أعداد كبيرة من تجار غرب إفريقيا قاصدين سلطنة الفور ، ومما شجعهم أكثر أن سلاطين الفور كانوا يقدمون لهم المساعدات [90] والتسهيلات اللازمة .

من الواضح أن دارفور قد توطدت علاقتها الإقتصادية بدول غرب إفريقيا خاصة امبراطورية البرنو [91] ويظهر ذلك في الآثار التي خلفوها والتي تؤكد نفوذهم الإقتصادي في السلطنة وتتمثل في الآتي :-

أولاً : التشابه في إسلوب المعاملات التجارية ، فقد كانت العملة السائدة في امبراطورية البرنو ، بحيرة تشاد هي قطع القماش وهي ذات العملة الموجودة أو المتداولة في دارفور والتي تعرف بالتكاكي ، بجانب العملات التي كانت متداولة في كوبي عاصمة سلطنة الفور التجارية هي الفرنك ، والدولار المجيدي ، والماري تريزا الدراهم التكرونية وهي عملات أهل وداي [92] .

ثانياً : نجد أن أثرياء برنو وكانم قد استقروا في مدن سلطنة دارفور الرئيسية مثل كبكابية ، الفاشر ، كوبي وبدأوا يطلقون على هذه الأماكن أسماء مناطقهم الأصلية مثل منطقة قتابرنو ، زنفقوا .

ثالثاً : من أهم الأدلة هي التجارة الكارمية * التي اشتغل بها سكان غرب إفريقيا ووسعوا دائرة نشاطهم التجاري حتى البحر الأحمر ، الحبشة عبر دارفور ومما يؤكد وصول النشاط الكارمي في دارفور هو الملح الأغاوي والدراهم التكرونية المنتشرة في مدن السلطنة .

رابعاً : منطقة جبل أوري بالقرب من الحدود مع وداي كانت تمتاز بموقع تجاري مميز إذ أنها تربط وداي بغرب إفريقيا .

أهم صادرات دارفور إلى وداي وممالك غرب إفريقيا هي البضائع المستوردة من مصر كما صدرت دارفور إلى وداي النحاس والقصدير وبذلك تكون دارفور تلعب دور الوسيط التجاري في إعادة تصدير بضائعها مرة أخرى إلى غرب إفريقيا [93] .

وفي المقابل استوردت دارفور من ممالك غرب إفريقيا الرقيق ، الصمغ ، اللبان ، سن الفيل والجلود والتمرهندي ، وغيرها ويتم التبادل والمقايضة بالرقيق والبقر ، الجمال بالرغم من تداول العملات الأجنبية بين وداي ودارفور وبذلك قوية الصلات والعلاقات بين دارفور وغرب إفريقيا وفرت المياه واستتاب الأمن [94] .

الخاتمة:_

مما لا شك فيه أن الممالك الإسلامية كانت لها علاقات وصلات خارجية مع العديد من الدول ، كما أنها أصبحت معروفة في معظم حواضر العالم الإسلامي ، هذه الشهرة جذبت لها العديد من الرحالة الأوربيون الذين اصطحبوا القوافل وتركوا لنا ثروة ضخمة من المعلومات عن الممالك الإسلامية في مختلف المجالات

كذلك وفد على الممالك الإسلامية العديد من العلماء ورجال الدين ، والطرق الصوفية والذين ساهموا في نشر الدين الإسلامي وتعاليمه ، كما شكل التسامح الديني الذي إتسمت به الممالك الإسلامية ميزة هامة ، ساهمت العلاقات التجارية في ترويج السلع السودانية عن سائر شعوب العالم وجعلها معروفة في العالم الخارجي .

النتائج :-

- الممالك الإسلامية في السودان أسست لسياسية خارجية كان لها الدور الفعال والمؤثر في التحول الحضاري والسياسي الديني في السودان .
- بالرغم من قلة المصادر يتضح لنا ما بذلته الممالك الإسلامية من جهد ونشاط في الجوانب المختلفة .
- العلاقات التجارية التي كانت أساساً قوياً في إستمرار الإتصال والإرتباط بين الدول .

- زيارات الرحالة الأجانب في أوقات مختلفة وكتاباتهم عن الممالك الإسلامية اوضح الكثيرمن الجهد والنشاط في الجوانب المختلفة .
- كان العامل الديني وسيلة تواصل في العلاقات بين الممالك الإسلامية والدول الخارجية .

التوصيات :-

- الإهتمام بجمع الروايات الشفوية نسبة لقلة المصادر المكتوبة بالنسبة لتاريخ مملكة الفور الإسلامية ولأهميتها في كتابة معلومات تلك الحقبة التاريخية .
- التعمق في دراسة تاريخ الممالك الإسلامية في السودان .

الهوامش :-

1. يوسف فضل حسن : ملامح من العلاقات السودانية التركية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، الطبعة الأولى ، 2004 ، ص 36 .
2. يوسف فضل حسن : الممالك الإسلامية في السودان (1786 – 1822م) ، مجلة الدراسات السودانية ، المجلد الرابع ، العدد الأول ، يونيو 1973 ، ص 8 .
3. يوسف فضل حسن : دراسات في تاريخ السودان ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، 1975 ، ص149 .
4. نعوم شقير : تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته ، دار عزة للنشر والتوزيع ، الخرطوم ،2002 ، ص 415 .
5. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم : العلاقات الإقتصادية بين مصر والسودان ، مؤتمر دول حوض النيل ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم ، 1982 ، ص 8 .
6. المرجع نفسه ، ص 12 .
7. محمد فوزي مصطفى : الثقافة العربية وأثرها في تماسك الوحدة القومية في السودان المعاصر ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1972م ، ص37 .
8. الفاتح حسن قريب الله : التصوف في السودان إلى نهاية عهد الفونج ، مطبوعات كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ، ط1 ، 1987م ، ص127 .

9. المرجع نفسه ، ص 45 .
10. أحمد بن الحاج أبو علي : مخطوطة كاتب الشونة ، تحقيق الشاطر بصيلي عبدالجليل ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، 1960 ، ص 29 .
11. محمد النور ضيف الله : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء في السودان ، 1992م ، ص 51 .
12. هارولد أ. مكمايكل : تاريخ العرب في السودان ، ترجمة سيد علي محمد ، ط3 ، الكتاب الثاني ، ص 213 .
13. مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، دار الثقافة ،بيروت ، ط3 ، 1964م ، ص62 .
14. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 388 .
15. السر سيد أحمد العراقي : سواكن في العصر العثماني ، 1520 – 1923م ، كتاب الخرطوم ، 78 ،2014م ، ص 176 .
16. أنعم محمد عثمان الكباشي : سواكن في العصر العثماني في فترة التأسيس ، كتاب الخرطوم 78 ، 2014 ، ص 148 .
17. متوكل أحمد الأمين : النوبة التراث ، مؤسسة القرش للإعلان ، ب.ت ، ص 90 .
18. محمد إبراهيم أبو سليم : الفونج والأرض وثائق تمليك ، إصدار مركز أبوسليم ، الطبعة الثانية ، 2013م ، ص 7 .
19. هارولد .أ. مكمايكل ، مرجع سابق ، ص 213 .
20. صلاح محي الدين محمد : الشيخ عجيب والدولة السنارية في سنار ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الثالثة ، ص 34 .
21. السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 167 .
22. محمد صالح محي الدين : مشيخة العبدلاب وأثرها في تاريخ السودان السياسي ، الدار السودانية للكتب ، الخرطوم ، 1972م ، ص 265 .
23. صلاح محي الدين : مرجع سابق ، ص36 .

24. يحي محمد إبراهيم : تاريخ التعليم الديني في السودان ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1978م ، ص 44 .
25. حمد فوزي ، مرجع سابق ، ص 54 .
26. أحمد الحاج أبو علي ، كاتب الشونة ، مصدر سابق ، ص 28 .
27. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 341 .
28. هارولد. أ . مكمايكل ، مرجع سابق ، ص 200 .
29. قيصر موسى الزين : فترة انتشار الإسلام والسلطنات (641 – 1821) ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، أم درمان 1998م ، ص 43 .
30. مصطفى محمد سعد : بعض ملاحظات جديدة في تاريخ مملكة الفونج ، مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم ، العدد الثالث ، 1972م ، ص 17 .
31. المرجع نفسه ، ص 17 .
32. الشاطر بصيلي عبدالجليل : معالم تاريخ سودان وادي النيل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 1955م ، ص 87 .
33. مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، دار الثقافة ، بيروت ، 1964م ، ص 81 .
34. الشاطر بصيلي : مرجع سابق ، ص 27 .
35. المرجع نفسه ، ص 89 .
36. المرجع نفسه ، ص 90 .
37. المرجع نفسه ، ص 17 .
38. مكي شبيكة ، مقاومة السودانيين للغزو والتسلط ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1972م ، ص 17 .
39. المرجع نفسه ، ص 17 .
40. الشاطر بصيلي ، مرجع سابق ، ص 88 .
41. مكي شبيكة ، مرجع سابق ، ص 19 .
42. أحمد بن الحاج أبو علي (كاتب الشونة) ، مصدر سابق ، ص 19 .

43.قيصر موسى الزين ، مرجع سابق ، ص 37 .
44.نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 42 .
45.السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 169 .
46.السر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 42 .
47.حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2006 ، ص 271 .احمد النور ضيف الله ، مصدر سابق ص 113 .
48.محمد الفاتح حسن قريب الله ، مرجع سابق ص 113 .
49.يحي محمد إبراهيم ، مرجع سابق ، 45 .
50.أحمد بن الحاج علي (كاتب الشونة) ، مصدر سابق ، ص 19 .
51.محمد النور ضيف الله ، مصدر سابق ، ص 41 .
52.المصدر نفسه ، ص 42 .
53.عبدالمجيد عابدين : دراسات سودانية ، دار التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم ، الطبعة الثاني ، 1972م ، ص 14 .
54.رجب محمد عبدالحليم : العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ب . ت .
55.نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 442 .
56. Trimingham .J. Speror , Ahistory of islam in west Africa , Oxford University Press ,1962, gondon, P11 London .
57.مصطفى محمد مسعد : سلطنة الفور تاريخها وبعض مظاهر حضارتها ، المجلة المصرية للدراسات التاريخية ، العدد 11 ، 1963م ، ص 228 .
58. Gusta Nachtigal : Sahara and sultan , vo11v Wadai and Darfur , Billing and Sonslimited , 1971 , London > p11 >
59. Arkell . A . D : The History of Darfur 1200-1700 SMR Vol33 , 1952, p152 >
60.رجب محمد عبدالرحيم ، مرجع سابق ، ص 245 .

61. يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، (1450–1821) دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، الطبعة الرابعة ، 2002م ، ص 92 .
62. محمد عمر التونسي : تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى مسعد ، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة ، 1965م ، ص 183 .
63. إبراهيم موسى محمد : المظاهر المبكرة للإسلام في دارفور وتأثيراتها المحلية ، مجلة الدراسات الإفريقية ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية ، العدد 17 ، 1997م ، ص 67 .
64. يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص 103 .
65. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 471 .

- ومن خلاوي دارفور الشهيرة خلوة طرة ، شوبا ، أم شنقة ، الطينة ، بيدو ، أن فكرة المدارس القرآنية قد انتقلت إلى دارفور من غرب إفريقيا حيث كانت منتشرة وتعرف بمدارس الكتاتيب تدرس فيها الفقه والارشاد وحفظ القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة .

66. إبراهيم موسى ، مرجع سابق ، ص 66 .
67. المرجع نفسه ، ص 67 .
68. شوقي عطا الله : تاريخ حضارات سودان وداس النيل وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر ، الجزء الثاني ، القاهرة ، 1969م ، ص 264 .
69. مكي شبيكة ، مرجع سابق ، ص 13 .
70 .Reisner G.A : outline of the Ancient History sultan .S.N . R part one , 1918 . p4
70. ابن حوقل أبي القاسم محمد النعسيبي : تاريخ أواخر القرن الرابع الهجري صورة الأرض ، ج1 ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1938 ، ص 101 .
71. المصدر نفسه ، ص 102 .

72. راشد توفيق عاطف : التجارة في السودان ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، 1989م ، ص 102 .

73. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 123 .

- كان سلطان دارفور هو الذي يعين رئيس القافلة بصلاحيات واسعة ويرفع له تقريراً شاملاً عن الرحلة عند عودة الاقفلة وعادة كان السلطان يعين رئيس القافلة من معارفه وأقربائه .

74. راشد توفيق ، مرجع سابق ، ص 51 .

75. الحسن بن محمد الوزان الزياتي : وصف أفريقيا ، ترجمة عبدالرحمن حميدة ، الهيئة المصرية للكتاب ، 2005 ، ص 41 .

76. المصدر نفسه ، ص 42 .

77. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 182 .

78. ضرار صالح ضرار : السلطان تيراب ، المطبعة الحكومية ، الخرطوم ، 1950 ، ص 19 .

79. نعوم شقير ، مصدر سابق ، ص 477 .

80. التونسي ، مصدر سابق ، ص 249 .

81. المصدر نفسه ، ص ، 250 .

82. سبنسر تريمنجهام : الإسلام في السودان ، ترجمة فؤاد عكود ، القاهرة ، 1946م ، ص 226 .

83. المرجع نفسه ، ص 228 .

84. علي محمد الصلابي : تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 2001 ، ص 42 .

85. الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 543 .

86. يوسف فضل ، دراسات تاريخ السودان ، معهد الدراسات الإفريقية ، دار جامعة الخرطوم للنشر ، 1975م ، ص 22 .

87. الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ص 544 .

88. التونسي ، مصدر سابق ، ص 544 .

89. إبراهيم علي طوقان : امبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1975 ، ص 359 .

90. المرجع نفسه ، ص 359 .

- مصطلح التجارة الكارمية أطلق على التجار البدو من غرب إفريقيا من أهل كانم طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر يعملون في تجارة الفلفل ، القرنفل وغيرها من الصادرات الهندية واليمنية ، واشتهروا باسم التجار الكارم ، وازدهرت هذه التجارة في العصور الوسطى واصبحت تجارة عالمية ، وتعتبر ركيزة أساسية للاقتصاد المغربي ، إبراهيم طوقان ـــــــــ مرجع سابق ، ص 360 .

91. التونسي ، مصدر سابق ، ص 58 .

92. المصدر نفسه ، ص 249 .